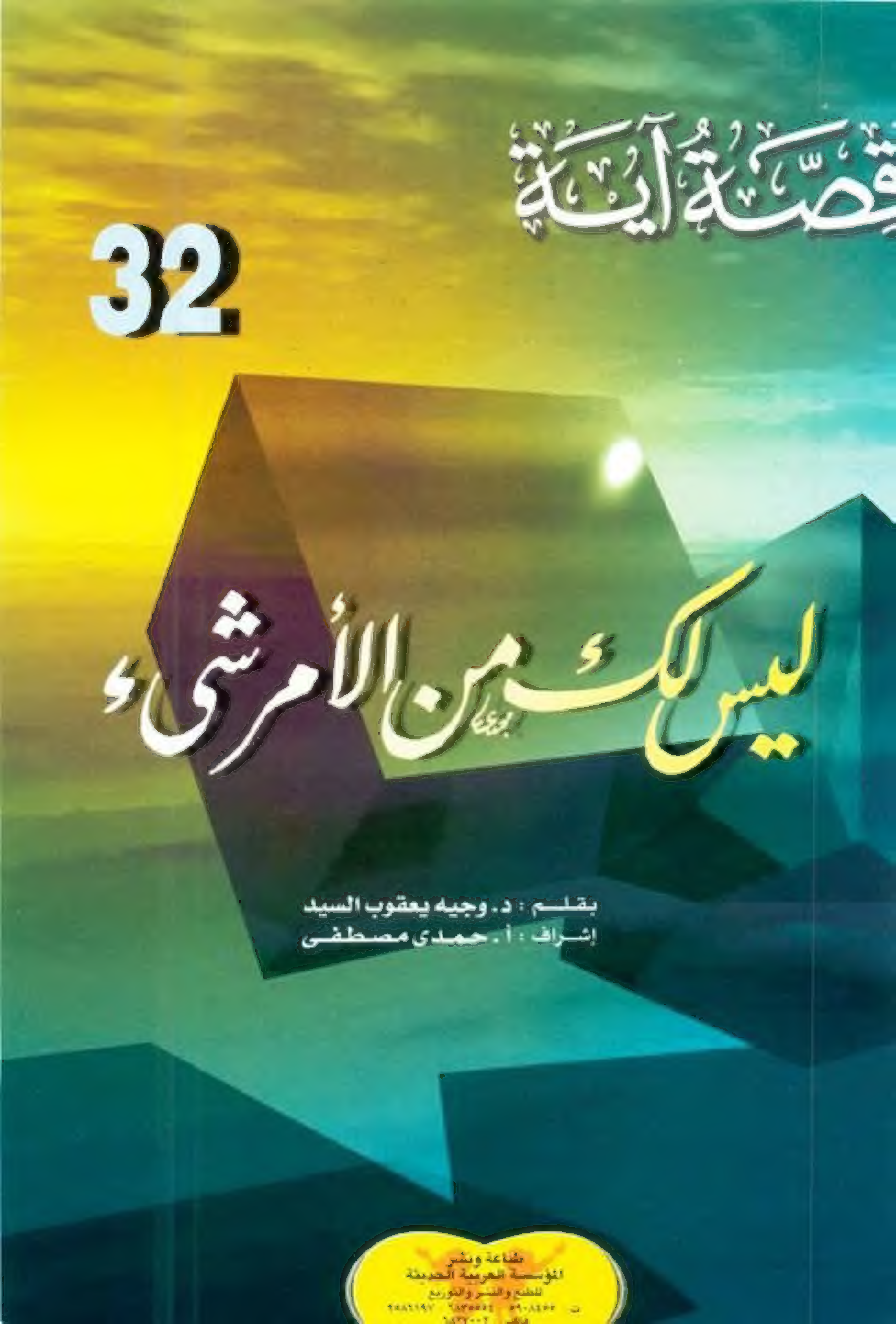
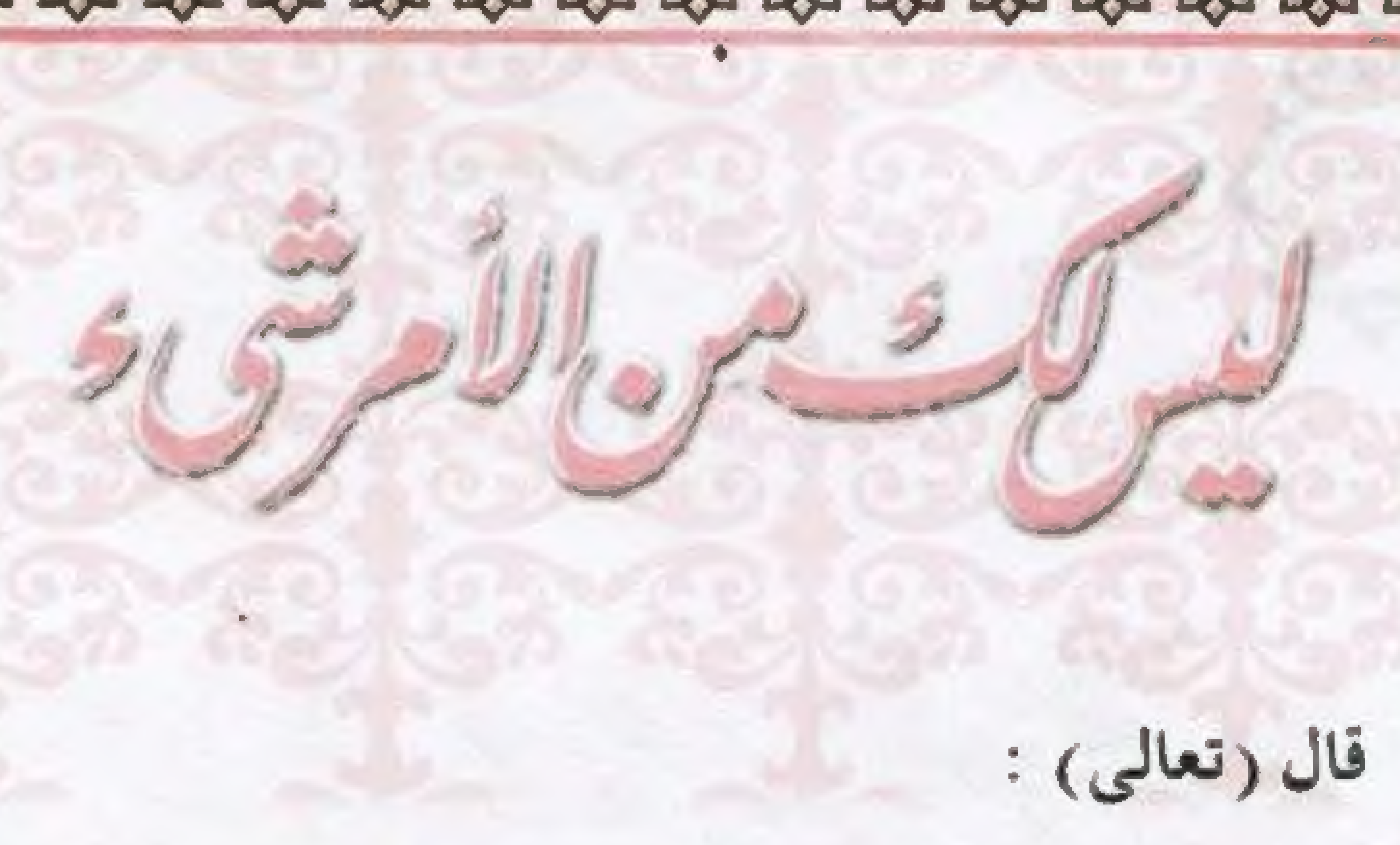

قصة آية
32
ليس لك من الأمر شيء
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قال (تعالى) :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة آل عمران : ١٢٨، ١٢٩]

فى غَزْوَة أُحُدٍ ، كَانَ الْهَدفُ الأَكْبَرُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ هوَ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ ، ظَنًّا مِنْهم أَنَّ ذلكَ سَيُرِيحهم مِنَ الإِسْلامِ إِلى الأَبدِ .

رَاحَ بعضُ الْمُشْرِكِينَ يَبْحَثُ عن مَكانِ

الرَّسولِ ﷺ حتَّى يَصِلَ إليْهِ ويقْتُلَهُ ،

وأخَذَ يُرَدِّدُ :

ـ دُلُّونى علَى مُحمدٍ ، دُلُّونى علَى مُحمدٍ ،

فلا نَجَوْتُ إنْ نَجَا .

وراحَ بعضُ الْمشركينَ الذينَ يُجيدُونَ

رَمْىَ السِّهَامِ ، يُوَجِّهونَ سِهامَهُمْ صَوْبَ

رسُولِ اللهِ ﷺ كَىْ يُرْدُوهُ قَتيلاً .

وأَدْركَ الْمُسْلمون أنَّ غَايةَ الْمشرِكينَ

الدَّنيئَةَ هى أَنْ يَصلُوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ

بأَىِّ وسيلَةٍ ، فالْتَفُّوا حَوْلَهُ فى شَجَاعَةٍ

وفِدَائيَّةٍ يَعجزُ الْقَلَمُ عَنْ وَصْفِها .

فعندما أرادَ الرسولُ ﷺ أنْ يُراقِب

المشركين ليتعرَّف مُجريات الأحْداث ،

خافَ عليه الصَّحابةُ وقالوا له :

ـ بأبي أنْت وأمِّي يا رسولَ اللَّهِ لا تفْعَلْ ،

حتى لا يُصيبكَ سهمٌ مِن سهام الأعْداءِ ،

فإنَّ أرْواحنا دونَ روحِكَ ، وحياتنا لحياتِكَ

فداءْ .

ووقفَ كثيرٌ من الصحابة خلْف رسول الله ﷺ لكي

يحْمُوهُ من السِّهام الطَّائشة ، فكانَت السِّهامُ تَخْتَرقُ

ظُهُورَهم فيَصْمُدون لذلك ولا يتحركون من

أمْدَكـهمْ ، حتى مات أكثرهمْ .

وكـان أبو عُـبـيـدةَ بنُ الجـرَّاح يُقـاتلُ المشركين وعينُهُ على رسولِ الله ﷺ وكلَّما أحسَّ بالخطرِ على حيـاة رسولِ الله ﷺ أسرعَ نحوهُ حتى يفديه بحياته .

وانطلق سـهمٌ منْ يدِ أحـد المشـركين فأصـاب النبيَّ ﷺ ، حتى سالت الدماءُ على وجهِه وكُسِرتْ رباعيتُهُ (السنُّ التي بجوار الناب) .

وأسرعَ الصَّحابةُ نحوَ رسولِ اللَّه ﷺ لكي يروا ما به ، وكان أسرعَهم أبو بكرٍ ،

الذى وجـدَ حـلْقَـتَيْنِ مِنْ بنَاتِ المِغْـفَـرِ قـدْ دخَلَتا فى وجْنَتَى رسولِ الله ﷺ .

وقَـبْلَ أَنْ يبْـدَأَ أَبوبكرٍ فى مُداواةِ جُـرْحِ الرسـولِ ﷺ رأَى رَجُـلاً مُـقْـبِـلاً مِنْ قِـبلِ الْمَـشْـرِقِ يَطيرُ طَيـرَانًا ، فتوجَّسَ أَبُوبكْرٍ وقالَ فى نَفْسِه :

ـ اللهُمَّ اجْعَلْه طاعَةً .

فإِذا بهـذا الرجُلِ هو أَبُوعُبَيْدَةَ بنُ الْجَرَّاحِ ، تركَ الْقِتالَ وجاءَ مُسرِعًا نَحْوَ رسولِ اللَّه ﷺ كَىْ يُدَاوِيَهُ .

وعِنـدَمـا رأى أَبُـوعُـبَـيْـدَةَ بنُ الْجَـرَّاحِ

أَبابكْرٍ الصِّدِّيق يَهُمُّ بمدَاوَاة الرسولِ ﷺ ونَزْعِ الْحَلْقَتَينِ مِنْ وجنتَيْهِ قال لَهُ فى رجَاءٍ:

ـ باللَّهِ يا أبا بكْرٍ ، أَنْ تتركَنى فأَنْزِعَهُمَا مِنْ وجْهِ رسولِ الله ﷺ .

فتركَهُ أَبُوبكْرٍ لكَىْ ينالَ هذا الشَّرَفَ ، فأَخَذَ أَبُوعُبَيدَةَ بثنيَّتهِ إحْدَى حَلْقَتَىِ الْمِغْفَرِ ، فنزعَها وسَقَط علَى الأَرضِ وسقَطَتْ ثَنيَّتُهُ مَعَهُ.

ثم أَخذَ الْحَلْقَةَ الأخْرَى بثَنيَّتهِ فسقطَتْ ، فصَارَ أَبُوعُبَيْدَةَ بعْدَ ذلكَ أَهْتَمَ ـ أَثْرَمَ ،

رسالت الدماء من وجه رسول الله ﷺ

فتأثر بهذا المشهد كل المسلمين وبكوا بكاءً حارًا وقال بعضهم :

ـ ادعُ الله أن ينتقم من هؤلاء يا رسول الله .

وسكت الرسول ﷺ ، ونظر للأفق البعيد كأنما يستمطر رحمات الله ، ولسان حاله يقول :

ـ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي !

ثم قال في تأثر شديد :

ـ كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم

بالدَّمِ وهو يدعوهم إلى ربِّهم ؟

وتألَّم الرسول ﷺ ، ليس لما أصابه ، ولكن لإصرارِ أهلِ مكَّة على كُفرِهم وعِنادِهم ومُحاربتِهم لرسول الله ﷺ ، وهو يَدْعو إلى الله ولا يسألُهم على ذلك أجرًا ولا يريدُ مِنْهُم ثوابًا ، لكنّ الله (تعالى) كان يريدُ شيئًا آخر ؛ لأنّه يعلمُ غَيْبَ السَّموات والأرضِ وما تَحْتَ الثَّرَى ، ولا تدري لعلَّ الله يُحدِثُ بعد ذلك أمرًا !

وزادَ الكفَّارُ والمنافِقونَ من إيذائِهم للرسولِ ﷺ ، سواءٌ بالقولِ أو الفعلِ ،

بعدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ.

فكانَ الرسولُ ﷺ يدْعُو علَيْهم ويحدِّدُهمْ بأَسْمائِهِمْ فى الصَّلاةِ ويقُولُ فى دُعاءِ الْقُنوتِ :

ـ اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وفلانًا .

وكانَ يقولُ حينَ يفْرُغُ فى صلاةِ الْفجرِ منَ القِراءةِ ويُكَبِّرُ ويرْفَعُ رأْسَه :

سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنا ولكَ الْحمدُ .

ثم يقولُ وهو قائِمٌ:

ـ اللهمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بنَ الْولِيد ، وسلَمَةَ ابْنَ هشَامٍ ، وعَيَّاشَ بنَ أَبى رَبيعَة

والـمُسْتضْعَفينَ مِنَ الْمؤمنين ، اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ ، واجْعَلْها عليهمْ سِنِينَ كَسنِي يوسُفَ ، اللهمَّ الْعَنْ لَحْيَانَ ورِعْلاً وذَكْوَانَ ، وعُصَيَّةَ عصَتِ اللهَ ورسولَهُ .

وظلَّ الرسولُ ﷺ على هذا الْوَضْع بعْضَ الأَيَّامِ ، ثم توقَّفَ عنْ ذلكَ بعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ (تعالَى) قوْله :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة آل عمران : ١٢٨ ، ١٢٩]

إِن هذهِ الآياتِ الكَريمَةَ تعَلِّمُنا أَنَّ اللهَ (تعالى) كانَ يقِفُ وراءَ نَبيِّهِ ﷺ ، وكانَ يُعلِّمُهُ ويُربِّيه

ويبين له الصواب دائمًا ، حتى يعلم ﷺ أمته ويرشدهم إلى الصواب .

ومما تعلمه الرسول ﷺ - ويجب أن نتعلمه - أن الله وحده هو المتصرف في الأمور ، له مطلق المشيئة والإرادة يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل .

قال (تعالى) :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ
ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ
ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ
ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[سورة آل عمران : ٢٦، ٢٧]

ولذلك فإنّ الرسول ﷺ بعدَ أنْ دعَا على

مُضَر وعلَى كُفّر قريشٍ ، جاءهُ جبريلُ عليه السلام

بأمْـرٍ من اللَّه أنْ يسكُتَ عن لَعْنِ الكُفَّار

وسَبِّهمْ ، وقالَ لهُ :

- يا مُحمدُ ، إنَّ الله لم يبعَثكَ سبّابًا

ولا لعّانًا ، وإنّما بعثَكَ رحْمَةً ولَمْ يبْعَثْكَ

عذابًا ، ليس لكَ من الأمْرِ شيءٌ أو يَتُوبَ

عَليْهمْ أَوْ يُعذِّبَهُمْ فإنّهُمْ ظالِمونَ .

ثم علَّمهُ دُعاءً فقالَ :

- اللهمَّ إنّا نَستعينُكَ ونستغْفرُكَ ونؤْمنُ

بكَ ، نَخْنعُ لكَ ونخْلع ونَتْركُ من يكْفُرُكَ ،

اللهم إِيَّاكَ نعبُدُ ، ولكَ نصلِّى ونسجُدُ ، وإِلَيْكَ نَسْعَى ونَحْفِدُ ، نرْجُو رحْمتَكَ ونخَافُ عَذَابَكَ الْجدَّ ، إِن عَذَابَكَ بالْكَافِرينَ مُلْحِقٌ .

فاللهُ (تعالى) أَرادَ أَنْ يقولَ لِنَبِيِّه ﷺ : إِنهُ ليْسَ لأَحدٍ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ ، لا فى نصْرٍ ولا فى هزِيمَةٍ . إِنَّما الْمَطْلوبُ من الْمسلمِ الطَّاعةُ والْوفاءُ والأَداءُ ، أَمَّا الأَمْرُ بعْد ذلكَ فكُلُّه لِله ليس لأَحدٍ منْه شَىْءٌ ، ولا حتَّى لرسولِ الله ﷺ .

والمسلمُ الذى يدرِكُ هذه الْحقيقةَ

لا يتعجَّلُ شَيْئًا ، ولا يطْلُبُ شيْئًا إلا منَ اللَّه (تعالَى) ؛ لأَنَّ الله (تعالَى) وحْدَهُ هو القادِرُ على تلْبِيَةِ مَطالِبِ عبادِه .

ولا يَصِحُّ أَنْ يقُولَ الْمسلِمُ عن أَحَدِ النَّاسِ:

ـ إنهُ لنْ يدْخُلَ الجنَّة ، وإنَّ الله لَنْ يَرْضَى عنْهُ.

لأَنَّ اللهَ (تعالى) يُدْخِلُ فى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ويَتُوبُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، ولا يجُوزُ أَنْ نتدخَّلَ فى مَشيئَتِه وإرادَتِه .

ولنا فى رسُولِ الله ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، فقدْ كان يدْعُو لِقَوْمِه برَغْمِ إيذائِهِمْ له بِقَوْلِه :

ـ اللهمَّ اهْدِ قومِى فإنَّهم لا يعلمونَ

وكانَ يقولُ :

أَرْجو أَن يُخرِجَ اللهُ مِن أَصلابِهِم مَن يعبدُ اللهَ (عزَّ وجلَّ) .

وقدْ حدثَ هذا بالْفعلِ . فأَسْلَمَ خالدُ بْنُ الْوَليد ، وأَسْلَمَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبى جَهْلٍ . وأَسلمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وكانوا فى الْبِدايةِ مِنْ أَعْدَى أَعْداءِ الإِسْلامِ .

ـ دَعِ الْمَقادير تَجرى فى أَعنَّتها

ولا تبيتن إلا خالىَ الْبال

مَا بيْن طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهتها

يُبدِّلُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حالِ

رقم الإيداع: ١٧٣٢٨ / ١
الترقيم الدولى: ٥ - ٧٢١ - ٢٦٦ - ٩٧٧